OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الخصائص العامة في وصف امرئ القيس

The Characteristics of Imru Al Qais's Description

۞ **الدكتور محمد فخر معين**

محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد.

۞۞ **الدكتور محمد ناصر مصطفى**

محاضر بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة سرجودها، سرجودها.

ABSTRACT

Pre Islamic Era had a literature with unique characteristics and it occupied great importance in world of literature. Among the most prominent poets of this era is Imru 'al-Qais, who was the first to compose his poem. He was very keen in describing every scene of that era. Many characteristics of his descriptive style can be examined through his famous poem. His imagination was marvelous, he used to portray natural world around him in his poetry. His comparison between different things indicates keen observation. He was realistic while mentioning in his poetry, different occasions and places. Imru 'al-Qais was distinguished by his artistic accuracy, the power of perception, distant imagination. This research encompassed characteristics of description of Imr Ul Qais. The main purpose of this research was to analyze this topic critically. The method used for the research was descriptive and analytical while reviewing the literature, it was pertinent that Imr ul Qais had variety in his description. He, in fact, interpreted his emotions as well as gave this language, a beauty which had not been known to this language before. The focus of this research would be poetry of Imr Ul Qais as he contributed a lot to the Arabic poetry. This research would clarify the descriptive style of Imr ul Qais in his poetry.

Keywords: Imr ul Qais, Pre Islamic Era, Arabic Poetry.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد فإن الشعر أكثر أنواع الأدب أهمية في الأدب العربي ومعلقات العصر الجاهلي تحتل أهمية بالغة في عالم الأدب. ومن بين أبرز شعراء العصر الجاهلي امرؤ القيس الذي كان أول من أنشد معلقة وهي موضع الاهتمام لمحبي الأدب كما أنه اعتنى بوصف كل مشهد من مشاهد ذلك العصر وسجله في معلقته. ويوجد في وصفه كثير من الخصائص مثل "المادية" فهو يمثلها كأنه يرى أفكاره وعواطفه ويسمعها ويلمسها. يكثر في شعر امرئ القيس التشبيه أيضاً وذلك بسبب مظاهر الطبيعة الموجودة في العصر الجاهلي، حيث يجسد حالته

النفسية ويرفعها من الخيال إلى الواقع وقد تناول التشبه من الحجارة الكريمة والطيوب المتنوعة والحرير والدمقس والمرآة، معا يدل على ذوقه الطبيعي. كما أنه يميل إلى الواقعية من خلال الإكثار في ذكر أسماء الأماكن ولعله يفضل في نقل ما تراه عيونه وتتلمس سائر الحواس. ومن عادته أيضاً أنه يدخل في التفاصيل عندما يتحدث في شعره عن المرأة والجود والطبيعة ويأتي لنا صورة متعددة الأشكال ومليئة بالاستعارات والكنايات، وعند قراءة ديوانه ننتقل إلى عالمه الصحراوي حيث يصف عن الصحراء وعن بيته وصفاً دقيقاً. يمتاز امرؤ القيس بدقة فنية وقوة التصور والخيال البعيد والاستعارة. كما أن الشعر في العصر الجاهلي كان يصحب بالغناء والموسيقى، فهو شعر غنائي تام، ففي شعره نرى الانسجام والائتلاف اللفظي ما يبعث منه أجراسا موسيقية تتناول الأذن بلذة، فتدفعها الى النفس بما فيها من ألوان و تصوّر و شعور. وقد تكون لغته الشعرية مألوفة الاستعمال تعبر بحقيقة معاني ألفاظها تعبيرا قويّا عن حالة النفسية. ولأهمية هذا الموضوع اخترنا "الخصائص العامة في وصف امرئ القيس" عنوان بحثنا لنلقي الضوء على هذا الموضوع المهم. ويشتمل هذا البحث على مبحثين وخلاصة البحث ونتائج البحث، ويتحدث المبحث الأول حياة امرئ القيس أما المبحث الثاني فهو سيلقي الضوء على الخصائص المختلفة في الوصف لامرئ القيس.

المبحث الأول: نبذة موجزة عن حياة امرئ القيس

امرؤ القيس شاعر جاهلي استشهر بالملك الضليل واسمه الكامل "امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة"[1]ويتحدث كارل بروكلمان عن نسبه في كتابه "تاريخ الأدب العربي" بقوله: "امرؤ القيس حندج وقيل: عدى، وقيل مليكة أيضاً ابن حجر بن الحارث الكندي، وكان جده آكل المرار[2]، ويتحدث طه حسين روايات مختلفة عن اسمه واسم أبيه حيث يقول: "اسمه امرؤ القيس وحندج وقيس كما كان اسم أبيه عمرا وحجرا أيضا وكان اسم أمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل و كليب"[3]وفي شرح شواهد السيوطي "هو امرؤ القيس بن حمام بن هبل بن أبي زهير بن جناب بن هبل"[4]، يكنى امرؤ القيس أبا وهب و كان لقبه الملك الضليل وذو القروح[5]، ويقول بطرس البستاني: "هناك اختلاف في اسمه ولكنه يدعى عادة حندج وله كنيتان هما: أبو وهب وأبو الحرث وثلاثة ألقاب هي: ذو القروح والذائد والملك الضليل"[6]، ولد هذا الشاعر في منطقة نجد حوالي سنة 500م، فأبوه من ملوك الكندة وملك بني أسد، فشب في حجر النعيم وكان يشرب الخمر ويلاحق النساء ويغازلهن في شعره ويعشق

اللهو و كان أبوه يريد منه أن يساعده في أمور القبيلة ولكنه خيب آماله وأخرجه أبوه من بيته فصار ينتقل من مكان إلى آخر مع ندمائه ناظما الأبيات والقصائد وشاربا الخمر. وكان امرؤ القيس في دمون لما بلغه خبر قتل أبيه فقال على الفور: "ضيّعنى أبى صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر"(7) ثم قرر امرؤ القيس أن لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى ينتقم من قاتلي أبيه فلما ساد الليل قال:

"أرقت لبرق بليل أهلّ يضيء سناه بأعلى جيل

بقتل بنى أسد ربهم ألا كل شيء سواء جلل"(8)

ثم خرج من الغد طالب النصر من بني بكر وتغلب على بنى أسد لينتقم منهم و ينتصر عليهم، فطلبوا منه أن يفيدهم بمائة رجل من وجوههم ولكنه لم يقبل ذلك فغضب عليه بنو بكر وتغلب وتركوه فصار وحيداً و هو يتجوّل في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل حتى وصل إلى قيصر الروم الذي أكرمه إكراما بالغا وشاء أن يكون امرؤ القيس سببا لقوّته في بلاد العرب ضد الفرس وجهّزه لينتقم من أعدائه. مشى امرؤ القيس مع جيشه لينتقم من قاتلي أبيه الذي كان ملكا فأصابه مرض جلدي وسقط جلده سُمي بسببه "ذو القروح"(9)ومات قريبا من مدينة انقرة الجديدة.يتمتع امرؤ القيس بمكانة مرموقة بين الشعراء وقد استشهر في المدح والهجاء والوصف؛ وهو وصف جواده وليس هناك أحد من سبقه بوصف جواده ولهذا ضُرب المثل عنه: امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب، وهم الشعراء الأربعة وقع عليهم الاتفاق على أنهم أشعر شعراء العرب ومنهم امرؤ القيس حسب قول لبيد: "أشعر الناس ذو القروح"(10)

المبحث الثاني: الخصائص العامة لوصف امرئ القيس

يعتبر امرؤ القيس رائد الوصف الجاهلي وكان من أشهر شعراء الجاهلية حسب معاصريه ولذا قلّده كثير من الشعراء(11)، ويتسم شعره عدة الخصائص في الوصف منها:

المادية

يمثل امرؤ القيس المادية تمثيلا واضحا في شعره، فهو كأنما يرى أفكاره وعواطفه ويسمعها ويلمسها، تشخص أمامه في العالم الخارجي بقدر ما تشخص بخاطره في العالم الداخلي. ويرتدي وصف امرئ القيس، غالبا، وجهين، وجها نفسيا انفعاليا، نستشفه عبر الوجه الأول. فهو إذا يصف الطلل وتحمّل الظعائن والركب، لا يصف للوصف الخارجي الظاهر، وإنما لتجسيد ما يعانيه من ألم الفراق

وحسرة البعد، وبقدر ما يسرف في وصف تهدّم الطلل وصورة الرحيل بقدر ذلك، يوفّق في نقل ما يعانيه في نفسه إلى الملامح المادية التي تمنحه شكلا. والشاعر إذ يسعى الطلل ويذكر الأرام والنؤى، وإذ يتذكر الظعائن، إنما ينقل حالة نفسية لم تنجل ولم تعبّر عن نفسها، إلا من خلال هذه الآثار التي ترتبط بها، وتحلّ فيها. لهذا نرى أن الشاعر قد يقع تحت وطأة الذّهول ويخرج عن النزعة الوضعية الحسية، فيخاطب الطلل كأنه بشر سوى مشيراً بصورة غير مباشرة، إلى ظاهرة التقمص بين الواقع الوجداني والواقع المادي:

ألا عم صباحا أيها الطلل الخالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي[12]

ومع أن هذا النداء الوجداني يندر في وصفه، فهو عميق الدلالة على موقف الشاعر من الطلل واتخاذه كرمز لعهد السعادة والحب ومثار للحنين واللوعة والشعور بحسرة الأشياء الزائلة المتعفّية. ومثال ذلك أيضا وصفه للمطر والبرق والدوية والفرس، حيث تبدو نزعة الغلوّ بالفعل النفسي. فالسيل الذي يأتي على النخيل ودوح الكنهبل والفرس المستكملة الخلق، والتي أدركت أقصى غايات الجمال والسرعة والمهارة والدوية التي لا يقطنها سوى البوم، هذه كلها تصاوير مختلفة متباينة، توحى بأن بصر الشاعر قد ارتبط بوجدانه، فيما كان يصوّرها.[13] وهذه النزعة تختلف بين التصوير الداخلي الغامض والتصوير الخارجي الظاهر كما نرى في قوله:

كأني غداة البين يوم ترحّلوا لدي سمرات الحي ناقف حنظل

أو في قوله أيضا:

ظللت ردائي فوق رأسي قاعدا أعدّ الحصى ما تنقضي عبراتي

ففي هذين البيتين تجسّد شعور الحزن تجسّدا واضحا في المظهر الخارجي، فنقف الحنظل وعد الحصى وإحاطة الرأس بالرداء، هذه كلها ملامح مادية، تعبر عن حالة شعورية.[14]

التشبيه:

أتى امرؤ القيس بأشياء جديدة لم تكن يعرفها الشعر العربي الجاهل، "سبق امرؤ القيس الى أشياء ابتدعها، استحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء منها: استيقاف صحبه والبكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبّه النساء بالظباء والبيض وشبّه الخيل بالعقبان والعصى، وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى، وكان أحسن طبقته تشبيها"[15] كما نرى أن أسلوبه جاذب تحدث عنه الأدباء والنقاد، ويكتب مصطفى صادق الرافعي في كتابه "وحي القلم" عن امرئ القيس بقوله: "يقال في أمم الصناعة: سيارة فورد وسيارة فيات، يمكن ان يقال مثل ذلك في بعض أنواع البلاغة العربية: استعارة امرئ القيس، وتشبيه امرئ القيس"[16]

تكثر التشابيه في وصف امرئ القيس متأثرة بالنزعة المادية التي تبقى المظاهر على طبيعتها، مقتبسة الخاصة الأشهر والأبلغ في الواقع تدينها إلى خاصة أخرى في واقع آخر تقرنها بها، لتفيد من ذلك غلوّا ومثالية وتجسّد الحالة النفسية التي تتولد من الانفعال و ترفع الواقع إلى مثالية. و لو عدنا إلى النماذج التي عرضناها في شعر امرئ القيس، لرأينا أنها تقوم، جميعا على فضيلة التشبيهة و قلما يخلو بيت منه، حتى أننا لا نرى غلوّا في القول بأن القصيدة عنده مجموعة من التشابيه التي يأخذ بعضها بعنق البعض الآخر، من قوله في المعلقة:

"درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفّيه بخيط موصّل
كأنّ على المتين منه اذا انتحى مداك عروس أو صلابة حنظل
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجّل
فعنّ له سرب كأنّ نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل" [17]

كل بيت في هذا المقطع يتضمّن تشبيها قوام المعنى، فسرعة التغاف الفرس كسرعة دوران خذروف و على متنيه مدك عروس أو صلابة حنظل، و دماء الهاديات بنحره كعصارة الحنّاء، و السراب الذى عنّ له كعذارى الدوار، وليس بعد هذه التشابيه سوى التفاصيل والجزئيات توضح المشبّه أو المشبّه به. والأمثلة على هذه النزعة لا تندر.[18] وهي تدلّ على أن معظم المدارك التي يوفى اليها بواسطة التشابيه هي معارك حسّية قريبة المتناولة لا تقتضي جهدا أو بعدا. فليس اكتشاف العلاقة بين استدرار الفرس والخذروف أي بعد إنساني أو نفسي و كذلك ليس في التقاط الشبه بين دماء الطريدة وعصارة الحنّاء أية رؤيا، لأنه قرّر ما هو مقرّر و أبصر ما يبصر في الحدقة الحسية القريبة. ومعظم

التشابيه لا تعدو وهذا الواقع ما عدا فلذات، هنا وهناك، يقوم فيها التشبيه على علاقة خيالية بعيدة، كما نرى في قوله:

"كأنّ غلامي إذ علا فوق متنه على ظهر باز في السماء محلق"[19]

والتشبيه عنصر أكبر في شعر هذا الشاعر. وقد تناول التشبيه من الحجارة الكريمة والطيوب المتنوعة والحرير والدمقس والمرآة، معا يدل على ذوقه الطبيعي لأن هذه الأشياء لم يعرفها في الجاهلية غير المرسومين والأمراء.وجمال التشبيه عنده يقوم على غرابته وبعد متناوله، وما فيه من التصوير والتمثيل والحركة كقوله:

"أصاح ترى برقا أريك وميضة كلمح اليدين في خبيٍّ مكلّل"[20]

وسرّ الجمال في تشبيهاته التصويرية أن المشبه به لا يشتمل على وجه تام للمشبه، وإنما فيه ناحية خفية تجمعه بالمشبه. فهذه الناحية البعيدة يلمحها الشاعر بقوّة تصوره ويعتمد عليها في الجمع بين شيئين هما في حقيقتها لا يجتمعان كقوله:

"سموت إليها، بعدما نام أهلها سموّ حباب الماء حالا على حال

أو قوله

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من عل"[21]

يشبه فرسه بعقاب انقضاضا على فريستها ويقول إن هذه العقاب تصيد الطير وتحمله إلى وكرها فتأكله إلا قلوبه، فمنها الطري الغضّ، و منها الجاف المتقبض، و يعمل خياله، وما يلبث أن يقول:

"كأن قلوب الطير رطبا يابسا لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

وهذا من الواضع أنه "يشبه القلوب الرطبة بالعناب واليابسة بالحشف البالي أو التمر الردي الجاف، وهو تشبيه كان القدماء يعجبون به لأن امرأ القيس استطاع أن استطاع أن يلائم ملائمة خيالية بين أشياء متعددة".[22]

ويكاد امرؤ القيس يلم بوصف الناقة حتى يشبهها بالحمار الوحشي ممعنا في عرض دقائقه. وبقدر ما يعظمه ويرفع من شأنه، بقدر ذلك، يعظم شأن الناقة، فهو يصفها بقوله:

"بمجفرة حرف كأن قتودها على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرّد بالأسحار في كلّ سدفة تغرّد ميّاح النّدامى المطرّب

أقب رباع من حمير عماية يمجّ لعاع البقل في كل مشرب

بمحنيّة قد آذر الضّال نبتها مجرّ جيوش غمانمين وخلّب"[23]

والشاعر لم يعرض للناقة حتى تعرّض للحمار الوحشي، واصفا تغريدة في الأسحار و تطريبه منتقلا الى ذكر بطنه الضامر و حداثة عمره، و نبذه للعشب من الماء الذى يرده، وارتعاءه في أرض محنيّة، تساوى فيها الثبت مع الشجر لكثرة الخضب. واذا كانت العلاقة واضحة بين الناقة والحمار الوحشي في سرعة العدو و قوة الصلب، فليس ثمة أية علاقة بينها و بين تغريد الحمار وورود و ارتعائه، و انما هي جزئيات و دقائق تختص بالحمار ولا تجدى فى تعظيم الناقة.[24]

الواقعية

ولا يمكن أن نتفهم طبيعة ميله الى الإكثار من النعوت، الا من خلال نزعته الواقعية التي تنقل ما تقع عليه الحواس في حدوده الشكلية والمكانية والزمانية أحيانا. أن إكثار النعوت هو اسراف بالواقعية كما أن الإكثار من تعداد اسماء الأمكنة و اسماء العلم التي كانت شائعة عصرئذ، يوحى لنا بأن الشاعر، و ان غالى بالواقع ، احيانا ، يبقى رهينا له، بعرض فيه للمظهر و الجوهر جميعا، و يعنى بنسخة وانشاء معادلة له. فامرؤالقيس يسعى لاكتشاف التشابيه التى يتساوى فيها المشية بالمشبه به، تساوى الرقم بالرقم. انها تشابيه معادلة ، تقوم فضيلتها على الصدق فى نقل ما تراه العين أو تتلمسه سائر الحواس. ويقول فى بيت:

وترى الشجراء فى ريقها كرؤوس، قطعت فيها خمر[25]

فهو لم يكتف بتشبيه رؤوس الشجر بالرؤوس المقطوعة لأن اقتصاره على ذلك التشبيه لا يشخص المشهد بصدق وواقعية تأمين، لذلك عينه و اكده اذ البس تلك الرؤوس خمرا و مثال ذلك،أيضا ،قوله واصفا ذئب الفرس:

"ضليع إذا استدبرته سدّ فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل"

فالذئب ليس فوق الأرض تماما وانما هو "فويقها" و صيغة التصغير هى صيغة تدقيق والتدقيق فى نقل ظاهر الأشياء هو خاصة من خصائص الواقعية. والذئب، أيضا لا يميل يمينا أو يسارا بل هو مستقيم.[26]

الوصف القصصي

يصف امرؤ القيس ويقص، وصفه يشتمل على التفصيلات و التحليلات النثرية، فيهبط من جوه الشعرى، لأنه يتناول هذين الفنين في الغالب، لمحا ووثبا، فيلقي نظرة شاملة على المرأة والجود

والطبيعة ويخرج لها صورا متعددة الأشكال تحيط بالموصوف على أنواعه ، ولكنها لا تقتصر على نقله آليا ساذجا بصورته ومثاله، بل تستوحيه أحيانا لتخلقه خلقا عبقريا جديدا فيه شيئا من الحقيقة و فيه أشياء من الخيال المبدع كقوله في صفة الجواد:

"مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من عل"

واللمحات القصصية يحفل بها شعر الملك الضليل ممتزجة بالوصف اللمّاح وكلاهما يعتمد على صناعة التشبيه خصوصا، والاستعارات والكنايات عموما.[27]الا أن النزعة تظهر بوضوح فى وصفه للصيد حيث يبدو الموضوع ذا مقدّمة و عقدة و حلّ، و غالبا ما تكون المقدّمة وصفا للفرس أو الناقة، و تنشب العقدة، عندما يعن له سرب من البقر الوحشي، فيطارده و يكرّ و يفرّ حوله حتى يعود و قد اوقع طريدة أو عدة طرائد. ومثل ذلك وصف الطلل والحبيبة، فهو اذ يعرض للأول يخبر قصة تحوّله الى بلقع دارس تجول فيه الآرام والعين و تعصف به الرياح وتأتى على آثاره.[28]

الوصف الصحراوي

يستمد الشاعر صورة ومعانيه وتشبيهاته، فضلا عن موضوعاته من البيئة التي يعيش فيها. كما أن أسلوبه يتطبع بطبائها ويجرى وفقا لسنتها، حتى يكاد الأدب أن يكون ابن بيئته. ووصف امرئ القيس البيئة الصحراوية يستمد منها مواضيعه ويعنى لنباتها وحيوانها ومناظرها، يعكسها في شعره، بحيث يتعذّر علينا ان نفصل بين الطبيعة الداخلية والطبيعة الخارجية. و من يقرأ ديوانه ينتقل فجأة الى عالم الصحراء، يبصر النخيل والرمال والليل والصقيع و الرمضاء، وشتى النباتات، كما أنه يشاهد البقرة الوحشية و العقاب والظليم والريم، ويبصر البرق والمطر والسيل والخيمة والنّوى والظعائن و يكاد لا يفوته ظل أو ملمح من ظلال تلك اللوحة و ملامحها.[29]

يقول امرؤ القيس في قصيدته:

"عوجا على الطّلل المحيل لعلّنا نبكى الديار، كما بكى ابن حذام"

وسواء لدينا صحّ وجود ابن حذام أو لم يصح، و سواء بكى في شعره أو لم يبك، فإن الوقوف على الديار شيء طبيعي عند القبائل المترحلة ينشأ مع الشعب، ولا يعرف له بدء ولا مبتدئ. فان البدوي المتنقل في صحرائه لا بد له من المرور بأرض كان ينزلها من قبل، فتعوده ذكريات حبيبة الى قلبه تستثيرها بقايا الرسوم الدوارس من نؤى و دمنة و موقد، فيقف عليها و فى نفسه حنين الى أيامه

الخالية. وعلينا ألا ننسى أنه شاعر بدوى فطرى وان كان ملكا مترفا و الفطرة لا تتأبى هذه الأشياء التي نتأباها نحن.[30]

الاستعارة

يشتمل وصف امرئ القيس على الاستعارات وكان شهيراً عند استخدام الاستعارات ويقول عنه الرافعى: "يقال فى أمم الصناعة: سيارة فورد وسيارة فيات، يمكن أن يقال فى بعض أنواع البلاغة العربية: استعارة امرئ القيس و تشبيه امرئ القيس"[31]

فان الاستعارة تمثل مرحلة النضج والدقة الفنية وقوة التصور، والخيال البعيد، و لذلك فلا تتهيأ الاستعارة الجيدة لكل الشاعرين أو القائلين. ويقال أن أول استعارة جاءت قول امرئ القيس:

"وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت لها لما تمطى بجوزه وأردف اعجاز و ناء بكلكل"[32]

فقد استعار صورة البعير لهذا الليل لا يزول، ومضى فاستعار صورة القيد لفرسه، فسماه قيد الأوابد فهي لا تفوته، على نحو ما مربنا في بيته:

"وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل"

وامرؤ القيس يصف البرق:

"يضيء سناه أو مصابيح راهب أمال السّليط في الذّبال المفتّل"[33]

"كان البيت يتضمن استعارة بديعة، لأنه من معاني أمال رعى، وأنه استعار صورة رعي الأنعام للنبات لما يفنيه الذبال من الزيت شيئا فشيئا."[34]

وإذا لاحظنا معلقته إلى مطولته (ألاعم صباحا) وجدناه يستعير للحلىّ على نحر صاحبته وتوهجه صورة الجمر حيث يقول:

"كأنّ على لبّاتها جمر مصطل أصاب غضا جزلا وكفّ بأجذال"[35]

والجدير بالذكر أنه يقل عنصر الاستعارة في شعره لكنه منتشر في ديوانه في كل مكان.

الموسيقى

الشعر والموسيقى فنان متقاربان وبينهما ربط قوي، وفي العصر الجاهلي يصحب الشعر بالغناء و الموسيقى، والشعر في ذلك العصر غنائي تام، ويظهر أن الغناء لم يكن ساذجا حينذاك، فقد عرفوا منه ضروبا مختلفة. يقول إسحاق الموصلي:" غناء العرب قديما على ثلاثة أوجه: النّصب والسّناد

والهزج"[36]أما في شعر امرئ القيس، نجد الانسجام والائتلاف اللفظي ما يبعث منه أجراسا موسيقية تتناول الأذن بلذة، فتدفعها إلى النفس بما فيها من ألوان وتصوّر وشعور. ولغته الشعرية مألوفة الاستعمال تعبر بحقيقة معانى ألفاظها تعبيرا قويّا عن حالة النفسية كقوله:

"قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"

والأجراس الموسيقية تقوم إما على ألفاظ مفردة " يغط غطيط البكر" أو على انسجام التركيب كمطلعه "قفا نبك" أو على تداعي الحروف والحركات "مكر مفر مقبل مدبر معا" تدفعها جميعا تموّجات تطول وتقصر بحسب الحالة التي تستد عليها. فالمتوّجات القصيدة في "مكر مفر" ملائمة كل الملاءمة لسرعة الجواد في عدوه، وذالمتوّجات الطويلة في قوله:

"وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلي"

يتطلبها طول الليل، وهذا النفس الممتد الذي يقصر منه البحر الطويل.[37]

وصل امرؤ القيس إلى المكانة لم يصلها أحد من الشعراء ولذا أنه يُعد أبا للشعر الجاهلي بل للشعر العربي جميعه، فقد سبق في عرض صورة رائعة من الأوالين والآخرين كما أنه أجاد على الوصف والتشبيه، وقد مضى يعني بأخيلته ومعانيه وألفاظه معا نجده مائلا في استعارته وبعض طباقاته وجناساته، وبذلك أعد الشعراء من بعده للعناية بحلى معنوية ولفظية مختلفة.[38]

خلاصة البحث

تسمى الفترة التي تسبق ظهور الإسلام في الجزيرة العربية بالعصر الجاهلي لأن العرب في تلك الفترة عاشوا حياة الجهالة بما فيها من حقد وطيش وحمق. حدود جزيرة العرب حدود طبيعية من أربعة جوانب وهي تشتمل على البيئية الطبيعية، ولكل إنسان حيوان أليف يستعمله في حاجاته اليومية. قد عاش العربي الجاهلي هذه البيئة الطبيعية وواجه مخاطرها وتحمل مشقاتها ولذا صور الشعر الجاهلي كل هذه المعارف. إن الشعر العربي له أكثر أنواع الأدب أهمية في الأدب العربي ومعلقات العصر الجاهلي تحتل أهمية بالغة في عالم الأدب. ومن بين أبرز شعراء العصر الجاهلي امرؤ القيس الذي كان أول من أنشد معلقة وهي موضع الاهتمام لمحبي الأدب كما أنه اعتنى بوصف كل مشهد من مشاهد ذلك العصر وسجله في معلقته. ويوجد في وصفه كثير من الخصائص مثل "المادية" فهو يمثلها كأنه يرى أفكاره وعواطفه ويسمعها ويلمسها. يكثر في شعر امرئ القيس التشبيه أيضاً وذلك بسبب مظاهر الطبيعة الموجودة في العصر الجاهلي، حيث يجسد حالته النفسية ويرفعها من الخيال إلى الواقع وقد تناول التشبه من الحجارة الكريمة والطيوب المتنوعة والحرير والدمقس والمرآة، معا يدل على ذوقه الطبيعي. كما أنه يميل إلى الواقعية من خلال الإكثار في ذكر أسماء الأماكن ولعله يفضل في نقل ما تراه عيونه وتتلمس سائر الحواس. ومن عادته أيضاً أنه يدخل في التفاصيل عندما يتحدث في شعره عن المرأة والجود والطبيعة ويأتي لنا صورة متعددة الأشكال ومليئة بالاستعارات والكنايات، وعند قراءة ديوانه ننتقل إلى عالمه الصحراوي حيث يصف عن الصحراء وعن بيته وصفاً دقيقاً. يمتاز امرؤ القيس بدقة فنية وقوة التصور والخيال البعيد والاستعارة. كما أن الشعر في العصر الجاهلي كان يصحب بالغناء

والموسيقى، فهو شعر غنائي تام، ففي شعره نرى الانسجام والائتلاف اللفظي ما يبعث منه أجراسا موسيقية تتناول الأذن بلذة، فتدفعها الى النفس بما فيها من ألوان و تصوّر و شعور. وقد تكون لغته الشعرية مألوفة الاستعمال تعبر بحقيقة معاني ألفاظها تعبيرا قويّا عن حالة النفسية. ولأهمية هذا الموضوع اخترنا "الخصائص العامة في وصف امرئ القيس" عنوان بحثنا لنلقي الضوء على هذا الموضوع المهم. ويشتمل هذا البحث على مبحثين وخلاصة البحث ونتائج البحث، ويتحدث المبحث الأول حياة امرئ القيس أما المبحث الثاني فهو سيلقي الضوء على الخصائص المختلفة في الوصف لامرئ القيس.

نتائج البحث

- الفترة التي تسبق ظهور الإسلام في الجزيرة العربية تسمى بالعصر الجاهلي.
- يحتل الشعر العربي أهمية أكثر من أي فن أدبي آخر.
- تمتاز معلقات العصر الجاهلي بين الشعر العربي.
- [39]يُعد امرؤ القيس أشعر الشعراء في جميع العصور.
- اعتنى امرؤ القيس بوصف كل مشهد من مشاهد عصره وسجله في معلقته.
- وتوجد الخصائص في وصفه مثل المادية والتشبيه والواقعية والاستعارة والكناية والوصف الصحراوي والخيال والموسيقى.

الهوامش

[1] الدمشقي، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص203.

[2] بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ج1، ص97.

[3] حسين، دكتور طه، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة مصر، الطبعة الخامسة عشر، ص195.

[4] علي، دكتور جوّاد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، مكتبة النهضة بغداد، 1986، ج9، ص526.

[5] الشنقيطي، الشيخ أحمد بن الأمين، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، مكتبة النهضة، بغداد، 1986، ص5.

[6] البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، 1986، ص97.

[7] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف القاهرة مصر، ط10، ص237.

[8] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار قسطنطنية بيروت لبنان، ط1، 1282هـ، ص17.

[9] الزيات، دكتور أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة بيروت لبنان، ط26، ص48.

[10] ابن عيسى، العلامة يوسف بن سليمان، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، منشورات، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، ص90.

[11] علي، دكتور جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة بغداد، 1986م، ج9، ص523.

[12] الحاوي، إيليا، فن الوصف في الشعر العربى، منشورات، دار الكتب اللبناني بيروت، ط2، 1980م، ص71.

[13] المصدر نفسه، ص71.

[14] المصدر نفسه، ص72.

[15] المصدر نفسه، ص73.

[16] الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار المعارف القاهرة مصر، ط3، ج3، ص356.

[17] الحاوي، إيليا، فن الوصف وتطوّره في الشعر العربي، ص72.

[18] المصدر نفسه، ص73.

[19] المصدر نفسه، ص73.

[20] البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، ص105.
[21] المصدر نفسه، ص105.
[22] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص263.
[23]الحاوي، إيليا، فن الوصف وتطوّره في الشعر العربي، ص74.
[24] المصدر نفسه، ص75.
[25] المصدر نفسه، ص77.
[26] المصدر نفسه، ص78.
[27] البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، ص103.
[28]الحاوي، إيليا، فن الوصف وتطوّره في الشعر العربي، ص81.
[29] المصدر نفسه، ص82.
[30]البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، ص99.
[31] الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار المعارف القاهرة مصر، ط3، ج3، ص356.
[32] الجبوري، دكتور يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط4، 1983م، ص235.
[33] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص264.
[34] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص264.
[35] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص264.
[36] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص193.
[37] البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، ص107.
[38] ضيف، دكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص265.